﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦﴾ [الرحمن: 14 - 16]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الامتنانُ بأصولِ النِّعَمِ تهيئةٌ للامتنانِ بخَلْقِ الثَّقَلَينِ

لمّا ذَكَرَ تعالى العالم الأكبر من السَّماءِ والأرض وما أوجد فيها من النِّعم؛ ذكر مبدأ مَن خُلِقت له هذه النِّعم[1]، وهما الإنس والجِنُّ، وكان قد تقدَّمَ في إشارة الخطابِ الامتنانُ بخَلق الإنسان وبيانِ أصولِ النِّعم عليه، فأتبع ذلك تفصيلًا لما أجمل، بذكر خَلقِ الإنسانِ، ولمّا كان أغلب عناصره التُّراب؛ أشارَ إلى مطابقة اسمه لمُسَمّاه، بما فيه ممّا يقتضي الأُنس، وعبَّر عن ذلك بما هو في غاية البعد عن قابليَّة البيان، وهو الصَّلصالُ، الذي إذا نُقِرَ عليه؛ صارَ كالفخّارِ، فكما أنَّ الآدميَّ بكلامه يُعرَف حالُه وغايةُ أمرِه ومآله، فالمذكور هنا غايةُ تخليقه؛ إذْ من التُّراب جسدُه ونفسُه، ومن الماء روحُه وعقله، ومن النّار غَوايَتُه وحِدَّتُه، ومن الهواء حركتُه وتقلُّبه في محامده ومذامِّه، ولمّا كان الجانُّ الذي شمله أيضًا اسمُ الأنام مخلوقًا من العناصر الأربعة، وكان الغالبُ على جبلَّته النّار؛ عبَّرَ بلفظِ الجانِّ، وقيَّدَهُ بأنَّهُ من مارجٍ صافٍ من لهب النّار؛ لأنَّها هي الأغلب من عناصره، ولمّا كان خَلق هذَين القَبيلَين على هَذَين الوجهين اللَّذَين هما في غاية التَّنافي، مستورًا أحدهما عن الآخر مع منع كلٍّ من التَّسلُّط على الآخر إلّا نادرًا؛ إظهارًا لعظيم قدرته وباهر حِكمته؛ كرَّرَ الاستفهامَ بغرضِ التَّقريرِ والإنكارِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَلۡصَٰلٖ﴾: (صلل) أصلانِ، أحدهُما: يدلُّ على ندًى وماءٍ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 58.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 155 - 157.

قليلٍ، والآخَرُ: على صوتٍ، فأمّا الأوَّلُ؛ فالصَّلَّةُ، وهي الأرضُ، تُسَمَّى الثَّرَى لنداها، وأمّا الصَّوتُ؛ فيُقالُ: صَلَّ اللِّجامُ وغيرُه؛ إذا صَوَّتَ، والصُّلْصَلَةُ: بقيَّةُ ماءٍ، سُمّيت بذلك لحكايةِ صوتِ تحرُّكِه في المزادَةِ[1]، والمعنى المحوريُّ: تماسكٌ أو امتساكٌ في الأثناء بامتداد، مع دقَّةِ جرم أو رِقَّةٍ وحِدَّةِ أثَرٍ[2]، وسُمّيَ الخَزَفُ صَلْصالًا؛ لأنَّهُ يُصَوِّتُ، ويُصَلْصِلُ[3]، وقيل: الصَّلْصالُ: المُنتنُ من الطّين، من قولهم: صَلَّ اللَّحمُ؛ إذا أنْتَنَ[4]، وقيل: الصَّلصالُ: الطّينُ اليابسُ الَّذي يَصِلُّ من يُبْسِه، أي: يصوِّتُ، وقيل: هو صلصال؛ ما لم تُصِبه النّار، فإذا مسَّته النّارُ؛ فهو فخّار[5]، والمقصود بالصَّلصال في الآية: الطّينُ الَّذي يُتْرَكُ حَتَّى يَيْبَسَ، فإذا يَبِسَ؛ فهو صَلْصالٌ، وهو شِبْهُ الفَخّارِ، إلَّا أنَّ الفَخّارَ هو ما يَبِسَ بالطَّبخ بالنّار[6].

2) ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾: (فخر) أصلٌ صحيحٌ، وهو يدلُّ على عِظَمٍ وقِدَمٍ، من ذلكَ الفَخْرُ، وهو عَدُّ القديمِ من المآثِرِ، والفَخيرُ: الذي يُفاخِرُكَ، بوزنِ الخصيمِ، والفاخِرُ: الشَّيءُ الجَيِّدُ[7]، والمعنى المحوريُّ: عِظَمُ جرمِ الشَّيءِ أو غِلَظُه مع خُلوِّه - أحيانًا - ممّا يُناسبُ عِظَمَ جرمِه عادةً أو توقُّعًا، كالفَخّار الذي كان طينًا ثقيلًا، فأصبح صُلبًا خفيفًا، وبذا تبيَّنَ اتِّساقُ معنى لفظِ الفَخّار مع معنى التَّركيب[8]، والفَخّارُ في الآيةِ: الجِرارُ، قيل: وذلك لصَوته؛ إذا نُقِر، كأنَّما تَصَوَّر بصورة من يُكْثِر التَّفاخُرَ[9].

3) ﴿ٱلْجَآنَّ﴾: (جنن) أصلٌ واحدٌ، وهو السَّترُ والتَّستُّرُ، فالجنَّةُ ما يصيرُ إليه المسلمونَ في الآخرةِ، وهو ثوابٌ مستورٌ عنهم اليومَ، والجنَّةُ البستانُ؛ لأنَّ الشَّجرَ بوَرقِه يستُرُ، والجنينُ: الولدُ في بطنِ أُمِّه، والجِنَّةُ: الجُنونُ؛ لأنَّهُ يُغَطّي العقلَ، وجِنانُ اللَّيلِ: سوادُهُ وسَتْرُهُ الأشياءَ، والجِنُّ سمّوا بذلك؛ لأنَّهم مُتَستِّرونَ عن أعيُنِ الخَلقِ، قال الله تعالى:

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صلّ).
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (صلل - صلصل).
(3) الخليل بن أحمد، كتاب العين: (صلل).
(4) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (صلل).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ص).
(6) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 160.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فخر).
(8) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 245، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (فخر).
(9) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (فخر)، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 104.

﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: 27][1]، وجَنَّ الشَّيءَ يَجُنُّه جَنًّا: سَتَره، وكلُّ شَيْءٍ سُتِر عَنْكَ؛ فقَدْ جُنَّ عَنْكَ[2]، والمعنى المِحوريُّ: سَتْرُ الشَّيء بكثيفٍ يَعلوه، أو يكونُ الشَّيءُ في أثنائِه[3]، والمرادُ بالجانِّ في الآيةِ: إمّا أبو الجِنِّ، كما أنَّ الإنسانَ المذكورَ هنا هو أبو الإنس، وهو آدم، وإمّا الجِنُّ بنفسه، فالجانُّ والجِنُّ وصفان من باب واحد[4]، وقيل: بل المُرادُ إبليسُ وما خرج عنه من الشَّياطين[5].

4) ﴿مَّارِجٍ﴾: (مرج) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مجيءٍ وذهابٍ واضطرابٍ، ومَرَجَ الخاتمُ في الإصبع: قَلِقَ، ومَرَجت أماناتُ القومِ وعُهودُهم: اضطربت، واختلطت، والمَرْجُ: أصله أرضٌ ذاتُ نباتٍ تَمْرجُ فيها الدَّوابُّ[6]، وفي المرادِ بالمارجِ أقوالٌ، منها: أنَّه لهيبٌ مختلِط[7]، أو هو اللهبُ الأخضرُ والأصفرُ والأحمر، الذي يعلو النّارَ؛ إذا أوقِدت، ويكون بينها وبين الدُّخان، أو هو النّارُ المُرسلةُ التي لا تمتنع، أو هو النّار المضطربةُ التي تذهب، وتجيء، وسُمّي مارجًا لاضطرابِه وسرعة حركتِه[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

في هذه الآياتِ الكريماتِ ذَكَّرَ النَّظمُ الجليلُ بنعمةٍ أخرى، وهي نعمةُ خَلْقِ الإنسانِ، من أشياءَ تبدو للنّاظرينَ لا قيمةَ لها في نفسها، فما الطّينُ المُنتنُ في أوَّلِه، اليابسُ في آخره، إلّا شيءٌ ضئيلٌ أمامَ قدرةِ اللّهِ التي بلغتْ بالإنسانِ الغايةَ من الكمال في الخَلقِ والإبداعِ والتَّصويرِ، فقد خلق اللّهُ تعالى بقدرته آدمَ الذي هو أصل البشرِ، وعنه تفرَّع الجنس الإنسانيُّ من طينٍ يابسٍ يُشبه الفخّارَ في يُبوسته وصَلابته، وكذلك فقد خَلق تعالى جنسَ الجِنِّ من لهبٍ خالصٍ لا دخانَ فيه، أو ممّا اختلطَ بعضُه ببعضٍ من اللهب الأحمر وغيرِ الأحمر، فبلغَ به ما بلغَ، والمقصودُ بالآيتين تذكيرُ بني آدمَ بفضلهم على غيرهم؛ إذ بيَّن

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جنّ)، الخليل بن أحمد، كتاب العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (جنن).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (جنن).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (جنن، وجنجن).
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 349، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 104.
(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 161، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 245.
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (مرج).
(7) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (مرج).
(8) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 428.

- تباركتْ آلاؤه - لهم مبدأ خَلْقهم، وأنَّهم قد خُلِقوا من عنصر غير الذي خُلِق منه الجِنُّ، وأنَّ اللّه تعالى قد أمر إبليس المخلوقَ من النّار، بالسُّجود لأبيهم آدمَ، المخلوقِ من الطّين، فعليهم أن يشكروا اللّه تعالى على هذه النِّعمة، وأن يحذروا وسوسةَ إبليسَ وجنودِه[1]، وكَرَّرَ الاستفهامَ بغرضِ التَّقريرِ والإنكارِ، أي: أتُكذِّبانِ بنعمة البصرِ وغَيْرِها؛ مِنْ خَلْقِكُم على هذا النَّمط الغريب، وإيداعِكم ما أودَعَكم من القوى، وجَعْلِكم خُلاصةَ مخلوقاتِه، ومِن مَنْعِ أحدِ قبيلَيْكُم عن الآخَر، وتَيسيرِه لكم الأرزاقَ والمنافعَ، وحَمْلِكم على الحنيفيَّة السَّمْحة، وقدرتِه على إعادتكم كما قدر على ابتدائكم[2].

التَّذكيرُ بأصل خَلْقِ الإنسِ والجِنِّ تذكيرٌ بأصلِ النِّعَمِ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الاستئناف بقولِه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾:

استأنف النَّظمُ الحكيمُ قولَه تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ بعد قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ لأنَّ الآيةَ تمهيدٌ للتَّوبيخ على إخلالِهم بمواجبِ شُكرِ النِّعمة المتعلِّقة بذاتَي كلِّ واحدٍ من الثَّقلين[3]، فعاد النَّظمُ إلى طريقةِ الاستئناف دون الوصلِ؛ للتَّذكير بكلِّ نِعْمَةٍ على حِدَةٍ، كما سارَ عليه النَّظم في أوَّلِ السّورةِ في قولِه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، ومن الملاحظ أنَّ النَّظم الجليلَ سيسير على هذه الطَّريقةِ في المواضعِ بعدَ ذلك في كلِّ المواضعِ تقريبًا، خلا تلك المواضع التي يستمرُّ فيها الحديثُ عن النِّعَمةِ نفسها.

العودةُ للفصل بين النِّعمِ للتَّذكيرِ بفضل كلِّ نعمةٍ

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿خَلَقَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

آثر النَّظمُ التَّعبيرَ بمفردةِ (الخلق) في قولِه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾؛

انفرادُه تعالى بقضيَّةِ الخَلقِ دليلٌ على وحدانيَّتِه

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 135.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 155 - 157.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 179.

لما تتضمَّنه من معاني الإبداعِ والإنشاءِ على غيرِ مثالٍ سبق، ومنْ غيرِ أصلٍ ولا احتذاءٍ، ولِمَعنى التَّقدير الدَّقيق المستقيم[1]، وهي المعاني التي يتطلَّب السّياقُ إثباتَها؛ لِبيانِ أنَّ إيجاد الإنسانِ من العدَمِ إحدى النِّعم الجليلةِ التي امتنَّ اللّهُ بها على الإنسانِ، وكذلك لاشتمالِها على كثيرٍ من التَّقديراتِ التي تُثْري الآيةَ، فمنها: إنْشاؤُهُ عَلى ما هو عَلَيْهِ مِنَ القوى الظّاهِرَةِ والباطِنَةِ[2]، وأنَّهُ تعالى قَدَّره، وأوجدَه على هذا الشَّكلِ المعروفِ والتَّركيبِ الموصوفِ، منفصلًا عن جميعِ الجماداتِ، وأصلُه منها، ثُم عن سائرِ النّامياتِ، ثمَّ عن غيرِه من الحيواناتِ، وجعلَه أصنافًا، وفَصَلَ بين كلِّ قومٍ بلسانِهم عمَّن عداهم، وخَلْقُه لهم دليلٌ على خَلْقِه لكلِّ شيءٍ موجودٍ[3]، ففي خَلْقِ الإنسانِ دلالتان، أولاهما: الدَّلالة على تَفرُّد الله تعالى بالإلَهيَّة، وثانيَتُهما: الدَّلالة على نعمة الله على الإنسان؛ لأنَّ فيها تشريفًا للمخلوق بإخراجه من غياهب العَدَم إلى مَبْرز الوجود في الأعيان[4]، وجاء الفعلُ ﴿خَلَقَ﴾ في صيغة المُضيِّ؛ لإفادة اليقينِ بانفرادِه تعالى بخَلْقِ الإنسانِ، ولترسيخ الاعتقاد بقدرته تعالى، فكلٌّ من خُلِق وكلٌّ من يُخْلَقُ وسيُخلقُ، إنَّما هم في حُكْمِ المُضيِّ قُدرةً واستطاعةً وتحقُّقًا، وكذلك فإنَّ التَّعبيرَ بالجملةِ الفعليَّةِ فيه تقويةٌ للحُكمِ، أو تخصيصٌ له، وذلك بتنزيلهم منزلةَ المُنكرين لخَلْقِ اللّهِ الإنسانَ بعبادتِهم غيرَه[5].

معنى اللّامِ ودلالتُها في ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾:

ذهب كثيرٌ من المفسِّرين إلى أنَّ المرادَ بالإنسان في قولِه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدمُ عليه السلام، بوصفِه أبا البشر، وقال آخرون: أراد اسمَ الجنسِ، وساغ ذلك من حيثُ إنَّ أباهم مخلوق من الصَّلصال دونَ غيرِه[6]، والرّاجح أنَّه آدمُ حسبما نصَّ غيرُ واحدٍ من أنَّهُ قولُ الجمهورِ[7]، وعليه تكون اللّامُ في قولِه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ لامَ العهد[8]، وهو الموافق لتفسير قولِه اللّهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: 26]، وعلى

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، مفردات القرآن، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (خلق).
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 176.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 141.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 233.
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 233.
(6) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 226.
(7) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 160، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 104.
(8) الصّاويّ، حاشية الصّاويّ على تفسير الجلالين: 6/ 499.

القولِ بأنَّ المرادَ جنسُ الإنسانِ، تكونُ اللّامُ للجنسِ، والمرادُ أصلُ الخَلقِ لجنس البشرِ، وعلى التَّقديرين؛ فإنَّها إظهارٌ للامتنان بخَلقِ البشرِ، وإخراجِهم من العدم إلى الوجودِ.

اللّام إمّا للعهد، وإمّا للجنسِ؛ ولكلٍّ دلالتها

إيثار التَّعبير بلفظ ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾:

لم يَردْ في القرآنِ ذكْرُ اسْمِ آدمَ ﷺ عند بيانِ أنَّ أصلَ الخَلْقِ كان من صلصالٍ، فلم يقل: (خلقَ آدم من صلصال كالفخّار)، ولم يردْ هذا الوصفُ إلَّا عند ذِكرِ الإنسان أو البشر، ونُكْتَةُ التَّعبيرِ بلفْظِ الإنسانِ هنا، مع أنَّ المُراد آدمُ، هي تذكير كلِّ إنسانٍ مخاطَبٍ بأنَّ أصلَه بذاتِه وأوصافِه؛ كان من صلصالٍ منتنٍ أوَّلًا، ثمَّ يبسَ، فلا يغتر، ولا يتكبَّر، ولينظر إلى عظمة اللّه، وبديع خلقِه، ومقتضى حكمته، وسعة علمه تعالى، وفيه إشعارٌ ببديع صنع اللّه في تصوير الإنسان، وعظمتِه، وأنَّها من أجمل صورِ الخَلْقِ، ففيه تعجيب من صورة خَلْقِه وما هو عليه؛ لمجيء اللَّفظ في سياق تعظيم قدرة اللّه وبديع خلقه، وفيه تنبيه على أنَّ كلَّ فرد من أفراد البشرِ له حظٌّ من إنشاء آدم ﷺ منه، فكان خَلْقه منَ الطّين خَلْقًا لكلِّ أحدٍ من فروعه منه، ولمّا كان خَلْقُه على هذا النَّمط السّاري إلى جميع أفراد ذرّيَّته أبدعَ من أن يكون ذلك مقصورًا على نفسه، كما هو المفهوم من قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾؛ كانَ أدلَّ على عِظَمِ قُدرةِ الخلّاق العليم وكمالِ علْمه وحِكْمته.

المفارقةُ بين الخَلقِ والأصل؛ تذكرةٌ لذي الكِبرِ

معنى ﴿مِن﴾ ودلالَتُها في ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾:

جاءتْ ﴿مِن﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ لابتداء الغايةِ[1]، أي: إنَّ ابتداءَ خَلقِ جنسِ الإنسانِ ممثَّلًا في آدمَ ﷺ كان من صلصالٍ، وفي بيان أصل خلق الإنسان بيانٌ لعجيب قُدرةِ اللّه تعالى الواحدِ الأحدِ؛ لأنَّ خلقَهُ من هذه الأمورِ أعجبُ من

(مِنْ) لابتداءِ الغايةِ لبيانِ أصلِ الخَلقِ إظهارًا لإعجازِ القرآنِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 59.

خَلقِ الشَّيءِ من شكلِه وجنسِه، ولأنَّه تعالى أخرجَ من هذه الحالَةِ المَهينَةِ نوعًا هو سَيِّدُ أنواعِ عالَمِ المادَّةِ ذاتِ الحَياةِ، ولمّا كان بيان أصلِ الخَلقِ ليس في عِلْمِ الإنسان في وقتِ التَّنزيل؛ كان ذِكْره وبيانُه دليلًا على إعجاز القرآن، وكونه من عند الله تعالى، وحجَّةً على نُبوَّةِ رسولِه ﷺ[1].

دلالةُ التَّعبير بالصَّلصالِ، والغرضُ من تنكيره:

يُعرفُ الإنسانُ بالصَّوتِ المبينِ عن حالِه

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بمفردَةِ ﴿صَلْصَٰلٍ﴾، في قولِه تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾، وقد اختلفَ العلماءُ في دلالتها على قولين، **الأوَّلُ:** أنَّهُ سُمّيَ صَلصالًا؛ لأنَّ معناه الطّينُ اليابسُ الَّذي يَصِلُّ من يُبْسِه، أي: يُصوِّتُ[2]، ففيه إشارةٌ إلى أنَّ الآدميَّ بكلامِه يُعرفُ حالُه وغايةُ أمرِه ومآلِه[3]، وفيه إشارَةٌ خفيَّةٌ إلى نعمةِ تعليم البيانِ في أوَّلِ السّورةِ. **والآخرُ:** أنَّ الصَّلصالَ هو المُنتنُ من الطّين، من قولهم: صَلَّ اللَّحمُ؛ إذا أنْتَنَ[4]، فهو إشارةٌ إلى ذلك الأصلِ المَهينِ؛ لئلّا يتكبَّرَ، ولكي يعرفَ مِنَّةَ اللّهِ عليه ببديع خَلْقه تعالى، وكذلك يحتملُ أن يكون التَّعبيرُ بلفظِ الصَّلصالِ دونَ لفظِ (الطّين)؛ لأنَّ الصَّلصالَ أجملُ مراحلِ الطّينِ اليابسِ، فكان التَّعبيرُ به أنسبَ لسياقِ سورةِ الرَّحمنِ، التي احتفلت احتفالًا عظيمًا بالآلاء والنِّعم، وما فيها من جمالٍ للعين والنَّفس، وجاء لفظُ ﴿صَلْصَٰلٍ﴾ نكرةً إمّا للتَّخصيص، أي: من صلصالٍ بعينِه؛ بيانًا لقدرةِ اللّهِ تعالى على خَلْقِ الإنسانِ هذه الخِلْقةِ العجيبةِ من صَلصالٍ، وإمّا للتَّحقير، أي: من صلصالٍ مهينٍ منتنٍ؛ لتذكير الإنسانِ بأصلِه الضَّئيل، فلا يستكبر عن عبادَتِه تعالى.

---

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/ 137، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 14/ 42.
(2) الخليل بن أحمد، كتاب العين: (صلل).
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 155.
(4) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفاظ: (صلل).

سِرُّ تقييدِ الصَّلصالِ بالوصفِ بشبهِ الجُملةِ ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾:

الـوصـفُ بشبهِ الجملةِ للتنوع

قيَّدَ النَّظمُ الجليلُ وصفَ الصَّلصالِ بأنَّهُ ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾، وهو صفةٌ لـ﴿صَلْصَٰلٍ﴾، وعليه فهو كالخزف الذي إذا نُقِرَ عليه؛ صوَّت صوتًا يُعلمُ منه، هل فيه عيبٌ أم لا؟ وذلك لصوته؛ إذا نُقِر، كأنَّما تصوَّر بصورة من يكثر التَّفاخُرَ[1]؛ إذِ الفَخّارُ هو الطّين المطبوخ بالنّار، وهو الخَزفُ، مستعملٌ على أصل الاشتقاق، وهو مُبالغةُ الفاخرِ، كالعَلّام في العالم، وذلك أنَّ التُّرابَ الذي من شأنه التَّفتُّتُ؛ إذا صار بحيثُ يُجْعَلُ ظرفَ الماءِ والمائعاتِ، ولا يَتَفَتَّتُ، فكأنَّه يَفخرُ على أفرادِ جنسِه[2].

الغرض من التَّشبيهِ المرسلِ المُجْمَلِ في الآية:

استعملَ النَّظمُ الجليلُ التَّشبيه المرسل في قولِه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾؛ إذ المعنى: أنَّه صلصالٌ يابسٌ يُشبه يبس الطّين المطبوخ، والمُشَبَّهُ غَيرُ المُشَبَّهِ به[3]، وفي هذا التَّشبيه إظهارٌ لقدرة اللّهِ وبديعِ حِكمَتِه في خَلْقِ الإنسانِ.

دلالةُ العطفِ، وسِرُّ تكرارِ الفِعلِ الماضي:

في العطفِ إظهارٌ لكمالِ النِّعْمَةِ ومفارقةِ التَّفضيلِ

عطفَ النَّظمُ الحكيمُ بالواوِ قولَ اللّهِ تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾، على قولِه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾؛ للتَّوسطِ بين الكمالين: كمالِ الاتِّصالِ، وكمالِ الانقطاعِ؛ إذْ إنَّ كِلتا الجُملتينَ خبريَّةٌ لفظًا ومعنًى، ووُجدت بينهما المناسبةُ المسوِّغةُ للعطفِ، وهي أنَّ الجنَّ، مثلُه مثلُ الإنس، مذكورٌ في لفظِ (الأنام)، فلمّا فصَّلَ الحديثَ شيئًا ما عن خَلْقِ الإنسانِ؛ كانَ من المناسبِ أنْ يُفصِّلَ أيضًا في خَلْقِ الجانِّ؛ لما بينهما من التَّقابل والمغايرةِ،

(1) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (فخر)، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 104.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 349.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 245.

فكانَ في اقترانِ الحديثِ عن خَلْقِهما إظهارٌ لكمال النِّعمَةِ في خَلْق الإنسان من مادَّةٍ لَيِّنة، وهو قابل للتَّهذيبِ والكمالِ وصدورِ الرِّفقِ بالموجوداتِ التي معه على وجه الأرض[1]، وكرَّرَ فعلَ (خَلَقَ)؛ لتوكيدِ نسبةِ خَلْقِ الجانِّ لهُ تعالى، بالإضافة إلى مغايرةِ طبيعةِ خَلْقِه لهم.

معنى اللّام ودلالتُها في ﴿ٱلْجَآنَّ﴾:

اللّامُ إمّا للعهد تحذيرًا، أو للجنس بيانًا

اختلفَ العلماءُ في المرادِ بالجانِّ في الآيةِ على أقوالٍ، منها: أنَّهُ أبو الجنِّ، كما أنَّ الإنسانَ المذكورَ هنا هو أبو الإنس، آدمُ عليه السلام، وعلى هذا فاللّامُ للعهدِ، وقيل: بل المرادُ إبليسُ وما خرج عنه من الشَّياطين، وقَدْ حَكى اللهُ عَنْهُ قَوْلَهُ: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: 12][2]، ففي ذِكره تحذيرٌ من اتِّباعِ وسوسته وإغوائه. والثّاني: أنَّ المرادَ جِنسُ الجانِّ، فالجانُّ والجِنُّ وصفان من بابٍ واحدٍ[3]، وعلى هذا فاللّام للجنس، وفيه تذكيرٌ وموعظةٌ بمظهر من مظاهر قدرة اللهِ وحِكمته في خَلْق نوع الإنسان وجنسِ الجانِّ.

بلاغةُ المقابلةِ بين الآيتين:

في المقابلةِ بين الآيتين إبرازٌ لاقتدار اللهِ تعالى وسعةِ قُدْرَتِهِ

بَينَ قولِ اللهِ تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾، وقوله: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ مقابلةٌ[4]، فقد قابل النَّظمُ الجليلُ بين خَلْقِ ما أصلهُ طينٌ، وما أصلهُ نارٌ، وبين ما هو مَرئيٌّ وما هو خفيٌّ غير مرئيٍّ، وفيه إيماءٌ إلى ما سبق في القرآنِ النّازل قبلَ هذه السّورة من تفضيلِ الإنسان على الجانِّ؛ إذ أمر اللهُ الجانَّ بالسُّجود للإنسانِ، وما ينطوي عليه ذلك من وفرة مصالحِ الإنسان على مصالح الجانِّ، ومن تأهُّله لعمران العالم لكونه مخلوقًا من طينته؛ إذِ الفضيلة تحصل من مجموعِ أوصافٍ، لا من خصوصيّاتٍ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 245.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 161، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 245.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 349، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 104.
(4) وهبة الزّحيليّ، التّفسير المنير: 27/ 202.

مفردةٍ[1]، وكذلك ففي المقابلة بينهما بيانُ فضلِ اللّه تعالى على الإنسانِ؛ إذْ بيَّن تعالى أنَّه خلقَه من أصلٍ كثيفٍ كَدِرٍ، وخلقَ الجانَّ من أصلٍ لطيفٍ، ومع ذلك فقد جعل الإنسانَ أفضلَ من الجانِّ، فإنَّه إذا نظرَ إلى أصلِه؛ عَلِمَ أنَّه ما نال الشَّرفَ إلّا بفضل اللّهِ تعالى، فكيف يُكَذِّبُ بآلاء اللّهِ؟[2].

مَعنَى ﴿مِن﴾ ودَلالتُها في ﴿مِن مَّارِجٍ﴾:

طبيعةُ الجِنِّ ناريَّةٌ لطيفةٌ، فلا تعوقه المادَّةُ

جاءتْ ﴿مِن﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ﴾ لابتداءِ الغايةِ[3]، أي: ابتدأ خَلْق هذا الجنسِ من النّارِ، فغلبتْ على طبيعتِهِ الصِّفةُ النّاريَّةُ، فاكتسب من صفاتها ما صارَ بهِ ألطفَ من الإنسانِ مادَّةً؛ إذِ النّارُ ألطفُ من الطّينِ، فصارت لديهم القدرةُ على أن ينفذوا من الأشياء، لا يعوقُهم شيءٌ ماديٌّ، وهذا لأنَّهم خُلقوا من شفافيَّة النّار، ونحن من كثافة الطّين؛ لذلك هم يَرَوننَا، ولا نراهم[4].

دلالةُ التَّعبيرِ بمفردةِ ﴿مَّارِجٍ﴾:

الإشـــارةُ إلى اضطرابِ حركةِ الجِنِّ وسرعتِه واختلاطِ أحوالِهِ

تعدَّدت أقوالُ العلماءِ في المرادِ بـ ﴿مَّارِجٍ﴾، منها: أنَّه لهيب مختلط[5]، أو هو اللهبُ الأخضرُ والأصفرُ والأحمرُ، الذي يعلو النّارَ؛ إذا أوقدت، ويكون بينها وبين الدُّخان، أو هو النّارُ المُرسلةُ التي لا تمتنع، أو هو النّار المُضطربة التي تذهب، وتَجيء، وسُمّي مارجًا لاضطرابه وسرعة حركتِه[6]، وهي كلُّها أوصافٌ يتَّصِفُ بها اللهب الذي يعلو النّارَ الموقدةَ، وهو لسانها وطرفها، فهو منقطعٌ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 245.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 349.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 59.
(4) الشّعراويّ، خواطر الشّعراويّ: 24/ 14821 - 14822.
(5) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (مرج).
(6) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 428.

عن الحطبِ، مرتفعٌ عنهُ، خالصٌ من الدُّخانِ، مختلطُ الألوانِ، مضطرب الحركةِ لا يستقرُّ، وكلُّها أوصافٌ تجتمع حالَ اشتعالِ النّارِ والتهابها، ففيها مجتمعةً إشارةٌ لما هو معلومٌ عن حالِ الجنِّ واضطرابِه، وفيه من الجمالِ وتداخلِ الألوانِ وشدَّةِ بريقها ما يناسبُ مقامَ الامتنانِ بالآلاء والنِّعَمِ في سورةِ الرَّحمن، فوصفَ خَلْقَ الجانِّ بأجملِ الألفاظ.

معنى ﴿مِّن﴾ والغرض من تنكير ﴿نَّارٍ﴾:

خلقَ تعالى الجانَّ من نارٍ مخصوصةٍ متميِّزَةٍ عن سائر النّيران

تعدَّدت الأقوالُ في معنى ﴿مِّن﴾ في قولِه تعالى: ﴿مِّن نَّارٍ﴾؛ منها: أنَّها بيانيَّةٌ، جاءتْ بيانًا لـ ﴿مَّارِجٍ﴾، كأنَّهُ قيل: من نارٍ صافيةٍ أو مختلطٍ من نارٍ، فالتَّنكير للمطابقة، وكأنَّه قيل: خلق من نارٍ صافيةٍ أو مختلطةٍ، على التَّفسيرين، وإن جعلت ﴿مِّن﴾ ابتدائيَّة؛ فإنَّما نَكَّرَ؛ لأنَّه أراد نارًا مخصوصةً متميِّزةً من بين النّيران، لا هذه المعروفة[1]، وذهب بعضهُم إلى أنَّ ﴿مِّن﴾ هاهُنا للتَّبعيضِ، أي: إنَّ خَلْقَ الجانِّ كانَ من بعضِ النّارِ[2].

سرُّ الوصفِ بشبه الجملةِ ﴿مِّن نَّارٍ﴾:

خروجُ الملائكة بالوصفِ لأنَّهم من نورٍ لا من نارٍ

وصفَ النَّظمُ الحكيمُ المارجَ بأنَّهُ ﴿مِّن نَّارٍ﴾؛ لبيانِ أنَّ النّارَ هي الأغلبُ من عناصر تكوينِ الجنِّ، فتعيَّن المرادُ بذكرِ النّار، وهمُ الجنُّ، دونَ الملائكةِ؛ لأنَّ الملائكةَ - عليهم السلام - من نورٍ لا من نارٍ، وليس عندهم مروجٌ ولا اضطرابٌ، بل هم في غايةِ الثباتِ على الطّاعةِ فيما أمروا به، وقد عَرف بهذا كلُّ مُضطَرِبٍ قدرَه لئلّا يتعدّى طَوْرَه[3].

سرُّ تقديمِ خَلْقِ الإنسان على خَلْقِ الجانِّ:

التَّقديمُ لشرفِ الإنسانِ ولأنَّهُ المَنوطُ بعمارَةِ الأرضِ

قدَّمَ النَّظمُ الجليلُ الحديثَ عنِ الامتنانِ بخلقِ الإنسانِ على الامتنانِ بخلقِ الجانِّ، رغمَ أنَّ النَّظم في العادَةِ يقدِّم الحديثَ عن

(1) الشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 8/ 132.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 59.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 156.

الجِنِّ على الحديثِ على الإنسِ؛ وذلكَ لتقدُّمه في الخَلْقِ، وإنَّما قدَّمَه هنا لبيانِ شرفِ الإنسانِ وتفضيلِه على الجِنِّ، بعدَ أن أسجد اللَّهُ لآدمَ ملائكته؛ لأنَّهُ هو المنوطُ به عِمارةُ الأرضِ والاستخلافُ فيها، كما هو مقتضى قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30].

معنى الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَبِأَيِّ﴾:

جاءَتِ الفاءُ في قولِ اللَّه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ للتَّفريعِ على ما تقدَّم من المِنن المُدمجة مِنَ الامتنانِ بخَلْقِ الإنسانِ من أصلٍ مُنتنٍ، وهو الصَّلصالُ، فصيَّرَهُ خَلْقًا بديعًا، دالًّا على بديع الصَّنعة وبالغِ الحِكمة، وإذا حُمِلَ الصَّلصالُ على أنَّهُ أجملُ مراحلِ الطِّينِ، ففيه بلاغة التعبيرِ بما يُناسبُ السّورةَ من النِّعم والآلاء أيضًا. فكأنَّ أصل الكلام: إذا عرفتم هذه النِّعمَ العظيمةَ والآلاءَ الجسيمةَ، التي هي من الظُّهور والوضوح بمكانٍ لا مرية فيه، فبأيِّها تُكَذِّبان؟ إذ لا سبيلَ إلى التَّكذيبِ، فلا بدَّ من الإقرار التّامِّ والتَّصديق الكاملِ والإيمان الحقِّ بعد الامتنان بكلِّ هذه النِّعم التي هي دليلُ قدرته وعظمته، وقيّوميَّته ورحمته.

بعد تعديد النِّعَمِ والآلاء يأتي تفريعُ التَّصديق والإيمان على المعرفة بقدرته تعالى

بيانُ المرادِ بـ ﴿ءَالَآءِ﴾ في هذا الموضع:

جاء قولُ اللَّهِ تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بعد آيتَين اثنتين، بيَّنَ فيهما تعالى بالغَ قدرته على خَلْقِ الإنسانِ والجانِّ، وإخراجِهما من العدم، مع ما بينهما من التّمايزِ في الشَّرفِ والمكانةِ، فكأنَّ التَّقديرَ: أتُكذِّبانِ بهذه النِّعم المُلوكيَّة النّاشئة عن مُبدعِكُما ومُربّيكُما وسيّدِكُما، أي: بنعمة خَلْقكم على هذا النَّمطِ الغريب، وإيداعِكم ما أودعكم من القوى، وجعلكم خلاصةَ مخلوقاته، ومِنْ مَنْعِ أحدِ قبيلَيكُم عن الآخَر، وتيسيره لكم الأرزاقَ والمنافعَ، وحَمْلِكم على الحنيفيَّة السَّمْحَة، وقدرته على إعادتكم كما قَدَر على

الآلاء هي الامتنانُ بالقدرةِ على الخَلْقِ

ابتدائكم[1]، أو أنَّ الآيةَ مذكورةٌ لبيانِ القُدرةِ، لا لبيان النِّعمة، وكأنَّه تعالى لمّا بيَّن النِّعمَ الثَّمانيةَ التي ذكرها في أوَّل السّورة، فكأنَّه ذكر الثَّمانيةَ لبيان خروجها عن العدد الكثير الذي هو سبعةٌ، ودخولِها في الزّيادة التي يَدلُّ عليها الثَّمانيةُ؛ إذْ إنَّ العرب عند الثّامنِ تذكر الواوَ؛ إشارة إلى أنَّ الثّامنَ من جنسٍ آخرَ، فبعدَ تمام السَّبعة الأوَل؛ شرعَ في بيان قدرته الكاملةِ، وقال: هو الذي خلق الإنسان من تراب، والجانَّ من نار، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ الكثيرة المذكورة التي سبقت من السَّبعة، والتي دلَّت عليها الثّامنة ﴿تُكَذِّبَانِ﴾، وإذا نظرتَ إلى ما دلَّت عليه الثَّمانية وإلى قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، يظهر لك صحَّة ما ذُكِر أنَّه بيَّن قدرتَه وعظمتَه[2].

بلاغة التَّكرار:

التَّكرار للتَّأكيدِ والتَّأسيس كِلَيهما

التَّكرارُ في هذه الفاصلةِ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ للتَّأكيد والتَّنبيه والتَّحريك، والتَّكرارُ موجودٌ في مواضع من القرآن، وذهب قومٌ إلى أنَّ هذا التَّكرارَ، إنَّما هو لاختلاف النِّعم، فكرَّر التَّوقيف في كلِّ واحدةٍ منها[3]، وسبقت الإشارةُ إلى قضيَّة التَّكرار في مقدِّمة السّورةِ، وترجيحُ أنَّ المُرادَ الأمرانِ كلاهما.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 152.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 350.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 59.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"